مقتطف

المملكة المغربية
ⵜⴰⴳⵍⴷⵉⵜ ⵏ ⵍⵎⵖⵔⵉⴱ
ROYAUME DU MAROC

المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي
ⴰⵙⴳⵎⵉⵍ ⴰⵏⴰⵎⵓⵔ ⵏ ⵜⵙⴳⵎⵉⵔⵜ ⴷ ⵜⵙⵏⵙⵓⵔⵉⵜ ⴷ ⵜⵙⵏⵙⵓⵔⵉⵜ ⵏ ⵜⵣⵔⴼⵜ
Conseil Supérieur de l'Education, de la Formation et de la Recherche Scientifique

وثائق التربية

رقم 7 | ماي 2022

نشرة يصدرها مركز التوثيق والنشر والترجمة

قراءة في كتاب

من أجل مدرسة قوامها الاستثناء الفكري

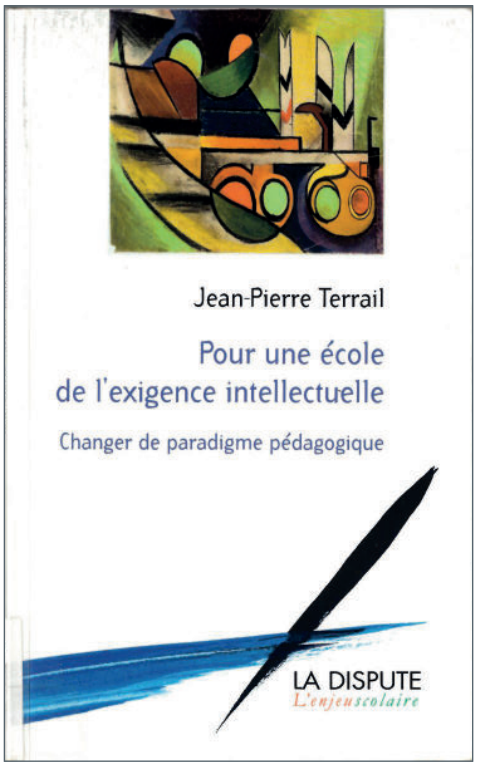

تحت هذا العنوان أصدر السوسيولوجي الفرنسي، جان بيير تيراي Jean Pierre Terrail ، قبل بضع سنوات، كتيبا غاية في الأهمية لا يزال يحتفظ لحد الآن براهنيته وبالصبغة الواردة لأفكاره بالنسبة لكل نشاط بحثي أو دراسي يتمحور حول عالم التربية وحول المتغيرات والتحولات البيداغوجية التي يتطلبها.

ويحمل المؤلف كعنوان فرعي الدعوة إلى "تغيير زاوية النظر للمسألة التربوية" وهي دعوة تترجم جيدا الطبيعة الكلية والكونية لهذه المساهمة والتي يفسرها صاحب الكتاب في مقال تقديمي لمؤلفه يتعرض فيه بتفصيل لمساره العلمي كسوسيولوجي "غير متخصص"، ركز اهتماماته في بداية مشواره الأكاديمي، على التفاوتات والاختلالات الاجتماعية، وعلى الطبقة العاملة، والشرائح الاجتماعية الشعبية، في علاقاتها مع الولوج إلى التربية وإلى الارتقاء الاجتماعي.

وهكذا، في سياق صدور مؤلف جماعي تحت إشراف جان بيير تيراي، نهاية عقد التسعينيات من القرن الماضي، يتناول باستفاضة ثنائية المجتمع والمدرسة، تعرض السوسيولوجي لعدد من الانتقادات من طرف مجموعة من المدرسين والبيداغوجيين والذين آخذوه على الخصوص لكونه استطاع تشخيص الضرر (الفشل الدراسي) ولكنه لم يقترح لهذه الاختلالات أية من حلول، آنذاك.

وكانت تلك الحملة بالنسبة للمؤلف مبررا ليتعمق في تلك "العلبة السوداء" التي تمثلها المدرسة والتي لم يتناولها إلا عرضا فيما قبل، في سياق أبحاثه السوسيولوجية العامة والتي يقول عنها أنها تندرج في مسار أعمال السوسيولوجي الشهير، بيير بورديو Pierre Bourdieu، آنئذ. وهكذا انتقل المؤلف تدريجيا من سوسيولوجية عامة إلى سوسيولوجية خاصة بالمدرسة، حيث سيكرس جل أعماله اللاحقة، بشكل متميز ورائد في أغلب الأحيان، لمواضيع من قبيل "تاريخ المؤسسة التربوية، علاقتها بالثقافة المكتوبة، الصعوبات التي تعترض حتما طريق كل من حاول الولوج إلى هذه الثقافة أو تملك أساليبها". أما على صعيد البحث التجريبي والاستقرائي، فقد انكب على "إعادة توليف مسارات التلاميذ ضحايا الفشل الدراسي، وعلى الملاحظة الميدانية للفصل، وهي مقاربة نادرة آنذاك، وتشخيص مراحل المكتسبات الأولية، وأيضا وعلى الخصوص على حيثيات تعلم القراءة كمرحلة حاسمة في مسار التعلم".

ومن خلال انغماسه الكامل في "سوسيولوجية المدرسة" هذه، سيسعى جان بيير تيراي إلى إدراج متغيرات عميقة في مسار النظرية البيداغوجية السائدة والتي يتعين عليها، من منظوره، عندما تروم إقامة "مدرسة للتميز للجميع" أن تضمن مسبقا انطلاقا من كفاءات ومهارات المتعلمين، كل المتعلمين، بدل الانطلاق أصلا من تخمينات "ملوثة" بسبب المبالغة في اعتبار العوامل السوسيو – اقتصادية لدى فئة معينة من الوافدين على المدرسة بنية تبرير الفشل الاجتماعي.

وبالتالي، فإن المؤلف، بدل الاستطراد بدوره حول العجز المزعوم لدى فئة معينة من المتعلمين، فإنه اختار كشعار له الحقيقة التالية: "من حيث الموارد الفكرية، إن ما يقرب ما بين جميع بني البشر، مهما كانت اختلافاتهم العرقية أو الثقافية، هي الظاهرة اللغوية، بصفتها ملكة تسمح بتملك لغة ما، كافية لجعل الطفل في سن السادسة من عمره، قادرا على إرضاء حاجياته الحياتية اليومية وبإمكانه، من خلالها، إغناء مكتسباته إلى ما لا نهاية. مع العلم بأن هذا التملك – كما تشهد على ذلك سواء النظرية اللغوية الحديثة أو الأبحاث ذات الطبيعة الإثنو – علمية – تقترن حتما بتكون القدرة على التجريد والتفكير المنطقي والتخمين الارتكاسي. ومن شأن هذه العدة الفكرية أن تكون متوفرة وكافية للولوج الطبيعي إلى الثقافة المكتوبة، ويبقى المشكل المطروح على كيفية تدبير التعلمات مقتصرا على طريقة تعبئة الملكات المذكورة لهذه الغاية".

وسيتخذ المؤلف من هذه القاعدة شعارا له لصياغة مختلف أعماله وحجيته وتحاليله، بدءا من الكتاب موضوع هذه المقالة، والذي يمكن إجماله في كونه يتناول مختلف المنطلقات التي تندرج منها مختلف تمظهرات "بيداغوجية القطيعة" التي ينادي بها.

المصدر:

Jean-Pierre Terrail, **Pour une école de l'exigence intellectuelle, Changer de paradigme pédagogique**, Ed. La Dispute (L'enjeu Scolaire), 2016